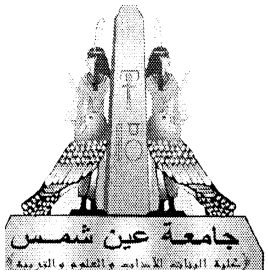

جامعة عين شمس
كلية البنات للآداب والعلوم والتربية
قسم التاريخ

الحياة الثقافية في فاس في عصر المرابطين

(الفترة من ٤٤٨ – ٥٤١ هـ / ١٠٥٦-١١٤٦م)

بحث مقدم للحصول على درجة الدكتوراه

في الآداب (تاريخ إسلامي)

تحت إشراف

د. آمال محمد حسن

أستاذ مساعد التاريخ الإسلامي بكلية البنات

جامعة عين شمس

د. صفي علي محمد

مدرس التاريخ الإسلامي بكلية البنات

جامعة عين شمس

مقدمة من الطالبة : فتحية محمد خيرالوداني

للعام الجامعي / ٢٠١٣م

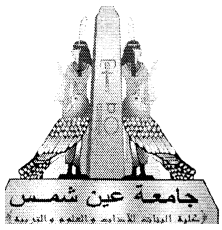

جامعة عين شمس

كليـــة البنـــــات

قســـم التاريـــــخ

اسم الطالب:فتحية محمد خير الوداني

عنوان الرسالة: الحياة الثقافية في فاس في عصر المرابطين

(الفترة من ٤٤٨ – ٥٤١ هـ / ١٠٥٦-١١٤٦م)

اسم الدرجة: دكتوراه

لجنة الإشراف

أ.د/ آمال محمد حسن	د/ صفي علي محمد
أستاذ مساعد التاريخ الإسلامي بكلية البنات	مدرس التاريخ الإسلامي بكلية البنات
جامعة عين شمس	جامعة عين شمس

تاريخ البحث: / /٢٠١٢م

الدراسات العليا:

ختم الإجازة: أجيزت الرسالة بتاريخ / /٢٠١٢م

موافقة مجلس الكلية	موافقة مجلس الجامعة
/ /٢٠١٢م	/ /٢٠١٢م

شكر وتقدير

أشكر المشرفتين على الرسالة:

الأستاذة الدكتورة/ آمال محمد حسن

أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد

بكلية البنات ــ جامعة عين شمس

الدكتورة/ صفى علي محمد

مدرس التاريخ الإسلامي

كلية الآداب ــ جامعة عين شمس

والسادة الأساتذة الذين شرفوني بالموافقة على مناقشة الرسالة:

أ.د/ منى حسن أحمد

أستاذ التاريخ الإسلامي بكلية الآداب ــ جامعة القاهرة

أ.د/ سامية مصطفى محمد مسعد

أستاذ التاريخ الإسلامي بكلية الآداب ــ جامعة الزقازيق

وكذلك الهيئات:

١- خزانة القرويين بفاس والقيمين عليها.

٢- مكتبة جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس.

٣- مكتبة جامعة محمد الخامس بالرباط.

٤- مكتبة كلية الآداب وكلية البنات ــ جامعة عين شمس.

٥- مكتبة الإسراء ومكتبة الأهرام للطباعة.

(اللهم اجعلها دار علم وفقه قبلة بها يا رب،

واقض بها سنة وحمد ودك، واجعل أهلها متمسكين بالسنة والجماعة

بما أنقسها). فلان بن فلان نحو دار علم وفقه.

الفهـــرس

الفهرس

الموضوع **الصفحة**

المقدمة: ١
التمهيد: فاس قبيل عصر المرابطين..... . ١٣
أولاً: الأوضاع السياسية والاقتصادية:..... . ١٤
ثانيًا: الحياة الثقافية في فاس قبيل عصر المرابطين:..... . ٢٤
الفصل الأول: العوامل المؤثرة في الحياة الثقافية في فاس:..... ٣٥
أولاً: فاس تحت الحكم المرابطي:..... ٣٦
ثانيًا: العوامل المؤثرة في الحياة الثقافية في فاس:..... ٤٢
ـ استقرار الأوضاع السياسية:..... ٤٢
ـ الاستقرار الاقتصادي:..... ٤٤
ـ الأوضاع الاجتماعية:..... ٤٧
ـ موقف الحكام والأمراء من العلماء:..... ٥٢
ـ هجرة العلماء إلى فاس وأثرها على المجتمع:..... ٥٥
الفصل الثاني: مراكز التعليم في فاس:..... ٥٨
ـ الكتاتيب:..... ٥٩
ـ المساجد:..... ٦٣
ـ المدارس:..... ٧٤
ـ المكتبات العامة والخاصة:..... ٧٦
ـ حوانيت الوراقة والنسخ:..... ٨١
الفصل الثالث: مناهج التعليم وطرقه في فاس:..... ٨٤
أولاً: مناهج التعليم في فاس:..... ٨٥
ثانيًا: طرق التعليم في فاس:..... ٩٨
الفصل الرابع: المظاهر الفكرية:..... ١٠٩
أولاً: العلوم الدينية:..... ١١٠
ـ علم القراءات:..... ١١١
ـ علم التفسير:..... ١١٥

ـ علم الحديث:..... ١١٦
ـ علم الفقه:..... ١١٩
ـ علم التصوف:..... ١٢٤
ـ علم الكلام:..... ١٣٣
ثانيًا: العلوم اللسانية:..... ١٣٥
ـ علم اللغة:..... ١٣٥
ـ علم النحو:..... ١٣٧
ـ علم الأدب:..... ١٣٧
ـ علم التاريخ:..... ١٤٦
ثالثًا: العلوم العقلية:..... ١٤٨
ـ علم الفلك والهيئة:..... ١٤٨
ـ الفلسفة:..... ١٤٩
ـ علم الحساب والهندسة:..... ١٥٠
ـ علم الطب:..... ١٥٠
ـ الموسيقى:..... ١٥٢
الفصل الخامس:..... ١٥٥
ـ أثر العلماء في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية: ١٥٦
ـ الحركة الفكرية في فاس وأثرها على بلاد العالم الإسلامي:١٧٦
الخاتمة:..... ١٩٧
الملاحق:..... ٢٠٢
المصادر والمراجع:..... ٢٢٦
ملخص الرسالة باللغتين العربية والإنجليزية:..... ٢٥٤
مستخلص الرسالة: ٢٥٩

المقـــدمة

من الإنجازات الحضارية التي حققها الأدارسة في المغرب الأقصى قيامهم بإنشاء مدن عديدة أصبحت مراكز مهمة لنشر العلم والثقافة العربية الإسلامية، ومن أهمها مدينة (فاس) التي لم تقتصر أهميتها على ما تضمنته من مساجد وأسواق وقصور وغيرها، بل تعدت ذلك إلى الرسالة الحضارية التي حملتها، فقد أنشئت كعاصمة عربية في بيئة بربرية عمل الأدارسة من خلالها على نشر الإسلام واللغة العربية ودعم العلم وتشجيع الأدب، فاستطاعوا أن يبذروا في المغرب الأقصى بذور الثقافة العربية الإسلامية التي انتعشت ونمت وآتت أكلها في العصور التي تلت عصر الأدارسة .

عندما بسطت دولة المرابطين (٤٤٨-٥٤١هـ/١٠٥٦-١١٤٦م) نفوذها على المغرب والأندلس، وامتد نفوذها إلى إقليم السنغال والنيجر، جمعت بين المؤثرات الأندلسية والمغربية والسودانية، وألفت بين تراث تلك الأقاليم، وطبع ذلك المزيج من المؤثرات الحضارية بطابع إسلامي وثقافة إسلامية أخذت من كل جانب بقسط، مما جعل التأثير الحضاري بين البيئات الثلاث وحدة شكلت مجتمعًا جديدًا يختلف اختلافا واضحًا عن غيره من المجتمعات.

وعلى الرغم من اتخاذ المرابطين مدينة مراكش دارًا لملكهم لقربها من جبال المصامدة وصحراء لمتونة، فإن ذلك لم يفقد مدينة فاس مكانتها، بل إن فاس صارت في عهدهم من أهم مراكز الفن والعلوم في المغرب الإسلامي، خاصة بعدما ورثت تراث القيروان والأندلس، وكان لمساجدها ــ لا سيما القرويين ــ دور بارز في نشاط الحياة الثقافية في بلاد المغرب خاصة والعالم الإسلامي عامة، حيث درس فيه مختلف العلوم لكافة المراحل ولم تقتصر على علوم الدين فقط. ولعل ذلك ما جعل البعض يُعد العصر المرابطي العصر الذهبي للتراث الفني في المغرب والأندلس، بعد أن شهد هذا العصر ازدهارًا حضاريًا أهدى للإنسانية الكثير من مظاهر التقدم والرقي. ومن هنا تأتي أهمية دراسة "الحياة الثقافية في فاس في عصر المرابطين".

إن تاريخ الحياة الثقافية في فاس جزء مهم من تاريخ حضارة العرب والمسلمين وفكرهم، فما كان ازدهار الحياة الثقافية في فاس إلا استكمالاً لما بدأت

به القيروان في المغرب الأدنى، وهو الحدث الذي أحدث توازناً حضـــاريًا ربمـــا يوازي الحضارة والتقدم في الجناح الشرقي من العالم الإسلامي من جهة، وفـــي الأندلس من جهة أخرى.

يواجه الدارس للحياة الثقافية في فاس خلال عهد المرابطين صعاب جمـــة، أهمها أن معظم المصادر التي تعد مصادر أصيلة للبحث إما مخطوطات مطموسة أو فقدت تحت تأثير خلافات مذهبية أو سياسية، ويرجـــع ذلـــك إلـــى أن تـــاريخ المرابطين كتب أغلبه في العصر الموحدي مع ما كان بين الفريقين مـــن تنـــازع عقائدي سياسي، حيث قامت دعوة ابن تومرت على مبدأ التوحيد بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقام بتأليف عقيدة في التوحيد بلغة البربـــر ضـــمنها مبادئـــه وأفكاره، وألزم اتباعه ومريديه بحفظها، وأطلق عليهم اسم "الموحدين" إشارة إلـــى أنهم هم الذين يوحدون الله حقًا، وتعريضًا بالدولة المرابطية، التـــي رماهـــا ابـــن تومرت بالكفر والتجسيم، وأحل قتالها باعتبار المرابطين في رأيه غير مـــؤمنين، فضلاً عن أن المصادر والمراجع إن وجدت لم تكن مستقلة في تناولهـــا لمدينـــة فاس، كما أن الكثير منها لم يعط اهتمامًا بالحياة الثقافية، بينما اهتمت تلك المصادر بالنواحي الأخرى كالنواحي السياسية والاقتصادية، حيث اقتصر الكثير منها علـــى ذكر الخلفاء والأمراء وحاشيتهم ووصف بلاطاتهم أو ذكر منـــاقبهم، وقـــد بـــذل الباحث جهدًا في جمع المادة العلمية من كتب التراجم والطبقات نظرًا للإيجاز الذي تتميز به.

يتمثل الهدف الأساسي من دراسة الموضوع في الوصول إلـــى الصـــورة الحضارية لمدينة فاس، ودورها الثقافي في العصر المرابطي، ولتحقيق ذلك الهدف اعتمدت الدراسة على المنهج العلمي القائم على تحليل النصوص واستنباط الحقائق والنتائج، حيث استعانت الباحثة بالمصادر القديمة المخطـــوط منهـــا والمطبـــوع، إضافة إلى المؤلفات التاريخية وكتب التراجم والفهارس والأدب والجغرافية وكتب الفقه.

قسمنا موضوع البحث إلى مقدمة وتمهيد وخمسة فصـــول تتبعهـــا خاتمـــة وملاحق ثم ثبت المصادر والمراجع.

عرضنا في **المقدمة** لأسباب اختيار الموضوع، وعرض **التمهيد** لنشأة مدينة فاس منذ التأسيس حتى قيام دولة المرابطين، وخاصة الأوضاع السياسية والاقتصادية بها، لأنهما شكلا عوامل أساسية لنهضة الحياة الثقافية في فاس، ثم تناولنا الحياة الثقافية خلال هذ الحقبة الزمنية قبيل قيام المرابطين.

خصصنا **الفصل الأول** لدخول المرابطين مدينة فاس وسيطرتهم عليها، ثم جاء دور العوامل التي أثرت في الحياة الثقافية، سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية.

عرضنا في **الفصل الثاني** "لمراكز التعليم في فاس" كالكتاتيب، والمساجد، والمدارس، والمكتبات.

وتضمن **الفصل الثالث** "مناهج التعليم وطرقه" حيث تناولنا فيه مناهج ومراحل التعليم في الكتاتيب والمساجد، وطرق التدريس التي شملت كلاً من التلقين أو التحفيظ، والقراءة، والسماع، ثم الشهادات والألقاب العلمية.

خصصنا **الفصل الرابع** لدراسة "المظاهر الفكرية" التي تعنى بإسهامات علماء فاس في العلوم النقلية والعقلية بفروعها المختلفة، حيث عرضنا أولاً: للعلوم الدينية التي شملت كلاً من: علم القراءات، علم التفسير، علم الحديث، علم الفقه، علم التصوف، علم الكلام. وثانيًا: العلوم اللسانية التي شملت: علم اللغة، علم النحو، علم الأدب، الشعر، علم التاريخ. وثالثًا: العلوم العقلية، علوم الفلك، والفلسفة، والحساب والهندسة، والطب، والموسيقى.

أما **الفصل الخامس** فقد تناول دور علماء فاس في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ثم العلاقات بين فاس وغيرها من المدن الإسلامية في عصر المرابطين.

ورصدت **الخاتمة** أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

دراسة نقدية لأهم المصادر والمراجع:

تتطلب دراسة الحياة الثقافية لمدينة من المدن الإسلامية من الباحث الرجوع إلى مصادر متنوعة مثل المصادر التاريخية والجغرافية وكتب التراجم وفهارس الكتب وكتب السير والفقه والأدب؛ لأن المعلومات التي تتناول التاريخ الحضاري ومنها الحياة الثقافية مبعثرة بين ثنايا تلك المصادر، خاصة إذا كان بعض مصادر تلك الفترة مفقود مما يضطر الباحث للرجوع إلى المصادر المتأخرة عله يجد فيها ما يخدم البحث.

من الملاحظ على الفترة موضوع البحث أنه قد فقدت كتب كثيرة صنفها رجال في المغرب عاشوا في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي أو تأخر تاريخ وفاة بعضهم إلى القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، مثل بعض مؤلفات القاضي عياض (ت٥٤٤هـ/١١٤٩م) الخاصة بتاريخ المرابطين، كما فقد كتاب خاص بتاريخ الدولة المرابطية وهو كتاب "الأنوار الجلية في الأخبار المرابطية" لابن الصيرفي (ت٥٥٧هـ/١١٦١م)، وغيرها.

من الكتب المفقودة الخاصة بتاريخ مدينة فاس "تاريخ فاس" لأبي القاسم بن جنون، و"المقباس في أخبار المغرب وفاس" لعبد الملك بن الوراق الذي عاش في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، و"المقتبس في أخبار المغرب وفاس والأندلس" لمحمد بن حماد السبتي.

ومن الكتب المفقودة أيضًا بعض الكتب الجغرافية مثل كتاب جغرافية ابن فاطمة الذي عاش في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، وفقدت أيضًا بعض كتب التراجم مثل تراجم ابن الملجوم (ت٦٠٣هـ/١٢٠٦م)، وتراجم ابن القطان (ت٦٢٨هـ/١٢٣٠م)، وكتاب تراجم ابن فرتون (ت٦٦٠هـ/١٢٦١م).

ومن هنا كان اعتماد الباحث في هذه الدراسة على العديد من المصادر سواء كانت معاصرة أو متأخرة مخطوطة أو مطبوعة، لاسيما وأن كثيرًا من مصادر القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي أو ما كتب بعده وصلت إلينا غير كاملة ــ فضلاً ــ عن بعض المراجع والدوريات الحديثة.

أولاً: كتب التاريخ:

من المؤلفات التاريخية التي أفادنا منها.

ــ كتاب "**الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار المغرب وتاريخ مدينة فاس**" لعلي بن أبي زرع (ت٧٤١هـ/١٣٤٠م)، ويشمل على تاريخ المغرب الأقصى عمومًا وتاريخ فاس بصفة خاصة، أي أنه يشمل تاريخ الدول الخمس التي تداولت حكم المغرب من سنة ١٤٥-٧٢٦هـ/٧٦٢-١٣٦٠م وهم الأدارسة ــ دولة زناتة ــ ثم دولتا المرابطين والموحدين ــ وأخيرًا دولة بني مرين التي أنهى المؤلف في عهدها كتابه وأهداه إلى السلطان الخامس من ملوكها أبي سعيد عثمان المريني ٧١٩-٧٣١هـ/١٣١٩-١٣٣٠م، وطريقة ابن أبي زرع في الكتابة ليست طريقة الحوليات التي جرى عليها أغلب المؤرخين في العصر الإسلامي، ولكنه يؤرخ للدول، حيث يذكر الدولة ونسبها وتشعب قبائلها ومراحل تأسيسها، ثم يذكر في نهاية الكلام عن كل دولة ما حدث في أيامها من أحداث اجتماعية واقتصادية وظواهر طبيعة، ووفيات الأعيان منها، وانتشار الأوبئة والمجاعات ونزول الأمطار، ولذلك فهو يعتبر من أهم مصادر المؤلفين المغاربة منذ تأليفه نظرًا لشموله ووفرة أخباره، فقد نقل منه الجزنائي، وابن خلدون وغيرهما، وقد أفادنا الكتاب في دراسة أحداث العصر المرابطي السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فضلاً عن تناوله النظم الحضارية والإدارية.

ــ كتاب "**جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس**"، لعلي الجزنائي من أهل القرن الثامن الهجري/الربع عشر الميلادي، ومن المؤسف أننا لا نعلم كثيرًا عن شخصية المؤلف، فالعلماء والمؤرخون الذين أشاروا إلى الكتاب لم يقوموا بالتعريف بأبي الحسن صاحبه، وقد تناول هذا الكتاب تاريخ بناء فاس وذكر أسوارها وقناطرها، ووصف جامعيها دون ذكر الدول والحكام، ويحتوي على مقدمة وقسمين، قسم خصص لذكر المغرب ومجيء إدريس الأول إليه وتأسيس إدريس الثاني لفاس، أما القسم الثاني فقد خصص لذكر من أدار الأسوار وزاد فيها الزيادات وإحصاء ما بها من منشآت معمارية، وقد أفادنا هذا الكتاب في

الجـــانب السياسي مع بعض المعـــلومات الحضارية وإن كان قد أغفل ذكر العديد منها.

ـــ كتاب "**البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغـــرب**"، لابـــن عـــذاري المراكشي (ت٦٩٥هـــ/١٢٩٥م) ويعد من الكتب المهمة عن تاريخ المغرب فـــي العصر الإسلامي، ويهمنا من هذا الكتاب الجزء الرابع الذي يعـــد مصـــدرًا مـــن مصادر تاريخ المرابطين، وترجع أهمية هذا الجزء إلى أنه يلقي الضوء على تلك الفترة التي فقد أكثر مصادرها الأصلية، وقد أفدنا منه في جميع فصول الرسالة.

ـــ كتاب "**الحلل الموشية في الأخبار المراكشية**"، لمؤلف مجهول من كتاب القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي. صـــنف هـــذا الكتـــاب فـــي ســـنة ٧٨٣هـــ/١٣٨١م، وتكمن أهميته في أن مؤلفه استمد مادته التاريخية مـــن كتـــب أصيلة معاصرة، ذكر أسماء أصحابها صراحة، بعضها موجود والبعض الآخـــر مفقود، مثل كتاب "الأنوار الجلية في أخبار الدولة المرابطية"؛ لابـــن الصـــيرفي (ت٥٥٧هـــ/١١٦١م) الذي كان كاتبًا للأمير تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين في غرناطة، كما استمد مادته من كتابي: ابن القطـــان صـــاحب نظـــم الجمـــان، والجغرافي أبي عبيد البكري (ت٤٨٧هـــ/١٠٩٤م)، فهو كتاب قيم ومفيـــد لأنـــه تضمن حقائق تاريخية ثابتة صححت الكثير من الأخطاء التي وردت في الكتـــب الأخرى، وقد أفدنا من هذا الكتاب في الفصل الخاص بالحياة السياسية بمدينة فاس.

ـــ كتاب "**المعجب في تلخيص أخبار المغرب**"، لعبـــد الواحـــد المراكشـــي (ت٦٤٧هـــ/١٢٤٩م) وتأتي أهمية هذا الكتاب من أن مؤلفه من مؤرخي النصف الأول من القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، أي أنه عاش فـــي كنـــف الدولة الموحدية، ويصف كتابه التاريخ السياسي لبلاد المغرب في عهد المرابطين والموحدين وصفًا شافيًا في إيجاز وبلاغة، كما يصف تاريخه الأدبـــي والعلمـــي، ولذلك يعتبر من أهم المصادر التي استعنا بها في الرسالة.

ـــ كتاب "**العبر وديوان المبتدأ والخبر**"، المعروف بتـــاريخ ابـــن خلـــدون (ت٨٠٨هـــ/١٤٠٥م)، ويعد من المصادر المهمة لتـــاريخ المغـــرب الإســـلامي، وإفادتنا من هذا الكتاب متنوعة فقد كانت مقدمته أهم ما اعتمدنا عليه من مصـــادر

في هذه الدراسة، لما تناولته من إشارات كثيرة عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعلمية في مدينة فاس خلال عصر المرابطين، كما جاءت افادتنا من الجزء السادس بالغة الأهمية، حيث أمدنا بالكثير من المعلومات عن الحياة السياسية.

ـ كتاب "**الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**" "جزء خاص بالدولة المرابطية والموحدية" للسلاوي الناصري (ت ١٣١٥هـ/١٨٩٧م)، ويعد السلاوي أول مؤرخ مغربي استعان بالمصادر الأوربية التي ظهرت في عهده مثل تاريخ ماذجان الذي كتبه بالبرتغالية لويس البوكرك وكتاب تاريخ المغرب الذي كتبه بالإسبانية مانويل كاستيلانوس، واعتمد أيضًا على من سبقه من المؤرخين المغاربة خاصة ابن خلدون، إلا أنه كثيرًا ما يتناول الأحداث بالنقد والتحليل مع إبداء رأيه الخاص في بعض القضايا، وقد افادنا هذا الكتاب في معظم فصول الرسالة، خاصة في دراسة قيام دولة المرابطين وفتوحاتهم وسيطرتهم على مدينة فاس.

ـ وهناك بعض المؤلفات التاريخية المخطوطة والمتأخرة نسبيًا أفادتنا في إعطاء بعض التفاصيل عن المساجد والأحياء والأسواق والفنادق وغيرها من المرافق، ومن تلك المؤلفات مخطوط (رسالة في ذكر من أسس فاس) لمؤلف مجهول، ومخطوط (كتاب في خطط مدينة فاس) لمؤلف مجهول .

ثانيًا: كتب التراجم والفهارس:

ـ كتاب القاضي عياض بن موسى بن عياض (ت٥٤٤هـ/١١٤٩م) من أهم ما رجعنا إليه من كتب التراجم، فهو إمامٌ ثقة معاصرٌ للدولة المرابطية، وعاش في كنفها، وتولَّى القضاء في ظلِّها، فكانت تراجمه للعلماء في عهدها شهادة عيان، وبالتالي ذات قيمة كبرى، وقد اعتمدنا على كتابيه: "**ترتيب المدارك وتقريب المسالك بمعرفة أعلام مذهب مالك**"، وهو موسوعة عظيمة الفائدة، بسط فيها القول عن علماء المالكية، ابتداء بالإمام مالك بن أنس إلى عصر المؤلف؛ فجاءت مليئة باللمحات التاريخيَّة، والمباحث العلمية، والوقائع السياسية.وقد أفادنا في ترجمة العديد من الفقهاء والعلماء الفاسيين.